

مجالات تأثير العلوم الشرعية في المجتمع: " المجال الأخلاقي، التعليمي، المنهجي "

Areas of influence of forensic sciences in society: The ethical, educational and methodological field.

ط.د. عبد الواحد المسقاد

كلية أصول الدين _ تطوان

المغرب

elmsakad88@hotmail.com

الملخص:

حين التدريس؛ فمما يكتسبه المتعلم منهج النقد؛ يتجلى ذلك من خلال إبراز الجوانب الإيجابية والسلبية حول قضية ما؛ ويكتسب أيضا منهج المقارنة، من خلال عرض الآراء والمقارنة بينها لإبراز مكان الخلل فيها، وغيرها من المناهج الأخرى، كالتحليلي والاستنباطي والاستقرائي.

الكلمات المفتاحية: القيم، المنهج، التدريس، العلوم الشرعية، المجتمع.

Abstract:

This research aims to answer issues related to the impact of forensic sciences and to show their impact on society. Especially in the ethical, pedagogical, and curriculum issues, and the fruits of building these areas are as follows:

In the ethical field: linking science to work and calling for the adoption of moral values, the development of

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن قضايا مرتبطة بتأثير العلوم الشرعية وتبيان أثرها في المجتمع؛ خاصة في المجال الأخلاقي، والتربوي التعليمي، وقضايا المنهج، يتضح ذلك من خلال ما يلي:

في المجال الأخلاقي: ربط العلم بالعمل والدعوة إلى تبني القيم الأخلاقية وتنمية التربية الروحية والتشبع بالمبادئ الصحيحة المؤسسة على روح المبادأة الإيجابية والفاعلة في المجتمع وترجمة السلوك في الواقع؛ كي يتحقق بذلك النفع وتحقق الأمة ريادتها.

في المجال التربوي التعليمي: يتحقق تأثير العلوم الشرعية من خلال ربط الفنون بعضها ببعض خلال التدريس، وربطها أيضا بالواقع، فلا تدرس مثلا السيرة النبوية المطهرة بمعزل عن الواقع والقضايا الراهنة.

في البناء المنهجي: للعلوم الشرعية أثر واضح في تكوين المنهج لدى طلابه؛ خاصة إذا روعي هذا المنهج

وعلى آله وصحابه الذين دعوا إلى طريق الجنان، وعلى
التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

إن الحديث عن أثر العلوم الشرعية في بناء المجتمع
وتحقيق نهضته في مختلف المستويات، يقتضي الوقوف
أساساً على الإشكاليات الجوهرية والمعوقات المثبطة
لتحقيق الإقلاع وتدارس النواقص لإزالة كل الغوامض
والإشكالات.

ولاشك أن أعظم مسألة ينبغي تدارسها والالتفات
إليها، قضية المنهج وطرق تلقين العلوم الشرعية، وكيفية
تحقيق الثمرة المرجوة منها، باستحضار البعد الأخلاقي
وربط هذه العلوم بالواقع المعاش في إطار الطفرة
الحضارية التي تعجّ بالثورة الرقمية والهيمنة التكنولوجية.

ويأتي هذا البحث ليُجيب عن بعض القضايا
والإشكاليات المرتبطة بمجالات تأثير العلوم الشرعية
على المستوى: الأخلاقي، والتعليمي، والمنهجي.

إشكالية البحث:

أين تتجلى أثر العلوم الشرعية في بناء الأخلاق؟

هل المناهج التي صيغت لتدريس العلوم الشرعية وافية
بتحقيق معرفة جامعة بين الأصالة وروح العصر؟

أي أثر للعلوم الشرعية في بناء المنهج؟

أهمية الموضوع:

تكمن قيمته العلمية فيما يلي:

كونه مرتبطاً بالعلوم الشرعية التي هي أشرف العلوم
لارتباطها بالوحي المنزل.

spiritual education, and the saturation of
correct principles based on the spirit of
positive and effective initiative in
society, and translating behavior into
reality.

In the educational field: the effect of
forensic sciences is achieved by linking
the arts to each other through teaching;
_ For example, the subject of
jurisprudence is not taught in isolation
from the principles of jurisprudence,
and it is also linked to reality.

On the methodological construction:
The forensic sciences have a clear
impact on the formation of the
curriculum among its students.
Especially if this approach is taken into
account when teaching; What the
learner acquires is the criticism
approach; This is demonstrated by
highlighting the positive and negative
aspects of an issue; It also acquires the
comparative approach, by presenting
and comparing opinions between them
to highlight the deficiencies in them,
and other approaches, such as analytical,
deductive and inductive.

Keywords: values, curriculum,
teaching, forensic sciences, society.

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان علّمه البيان، أرسل
رسوله للبشرية فهو خير ولد عدنان، صلى الله عليه

الذي بُنى عليه القيم في الإسلام؛ لأنّ العقيدة الصّحيحة هي أهمّ ما يطلب من الإنسان؛ لأنّ العمل إنما يتبع الاعتقاد، وعلى قدر ما تصحّ عقيدة المسلم وثقوى تستقيم أعماله وتزكو أخلاقه وتسّمو همّته، ورأس الأمر في ذلك كلّهُ هو توحيد الله عز وجل، فلا ينفع الإنسان أعماله الظّاهرة ومراقبته لأعماله الباطنة من خوف ورجاء وتوكل ونحوها إذا فسد معتقده وتلبّس بأفة من آفات البدع الشّرّكية والعياذ بالله.¹

ذلك أن الدّين: عقيدة وشرّعة.. والعقيدة فيه هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورُسله واليوم الآخر.. والشرّعة فيه هي: كلّ ما ينهجه المسلم ويسلكه ويُقيّمهُ — من عبادات.. وقيم.. ومعاملات — كي يعتقد هذه العقيدة ويتدبّر بها.. ولكلّ من العقيدة والشرّعة أصول وقواعد وأركان، وهي جميعها قد اكتملت بتمام الوحي الذي اكتمل به الدّين، وبإقامة الرسول ﷺ وصحابته — لهذا الدّين.²

فمنطلق التّربية الصّحيحة تتأسّس على الأساس العقدي، وقد شكّلت « التّربية منذ القديم مكانة خاصّة في حياة المجتمعات والأفراد، وعندما يتحدث الباحثون عن مكانتها في حياة المجتمعات، فإنهم في حقيقة الأمر يتحدثون عن علاقة حيوية دينامية بين التربية كأداة من أدوات التطور ووسيلة لا مفر من استخدامها في عمليات التقدّم الحضاري، وبين المجتمع الذي يعدّ البوثة التي تنصهر فيها كلّ العوامل الإنسانية والحضارية للأمم والشّعوب.

وفيما يتعلق بالفرد، تهدف التّربية إلى توفير الفرص الصّورية لتنمية جميع جوانب شخصيته، وتمكينه من تحقيق أقصى إمكاناته، والوصول به إلى الكائن الذي يرغب أن يكونه.

يهدف إلى ربط الأخلاق بالتعليم كحلقة أساسية في تحقيق الثمرة المنشودة.

يُدْرُس المنهج باعتباره المحدّد الأساسي في تحقيق ثمره التعلم واكتساب المعارف.

أهداف الموضوع:

يُروم هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أهمّها:

— بيان قيمة ربط العلم بالعمل وبناء القيم في تدريس العلوم الشرّعية.

— الوقوف على مكان الخلل في طرق تدريس العلوم الشرّعية، واقتراح بدائل لسدّ هذا الخلل.

خطة البحث:

— المحور الأول: أثر العلوم الشرّعية في البناء الأخلاقي

— المحور الثاني: ثمره العلوم الشرّعية في المجال التربوي التعليمي

— المحور الثاني: ثمره العلوم الشرّعية في بناء المنهج

المحور الأول: أثر العلوم الشرّعية في البناء الأخلاقي:

إنّ منطلق العلوم الشرّعية — أساساً — هو بناء الإنسان المؤمن بربه المتشبّث بعقيدته؛ كلّ ذلك مبناه على القاعدة الأخلاقية التي هي جوهر التّعليم وحقيقته؛ فبناء العقيدة الصّحيحة وترسيخ قيم الإيمان لدى المتعلمين؛ خاصّة دارسي العلوم الشرّعية، « هو الأصل

بين العقل والعالم، باعتبار أنّ هذا العالم هو المصدر الأساسي للمعرفة البشرية الصحيحة بالعالم، وبآثار قدرة الله فيه.⁵

« فالحديث عن التربية عموماً هو حديث عن الأخلاق؛ كثمرة من ثمرات التعلم ناتجة عن التأسي والتشبع بالقيم الفاضلة، ويعدّ ذلك مؤشراً قوياً على الرقي بالمنظومة التربوية الهادفة إلى بناء الإنسان وتكوين شخصيته عبر التدرّج في مراحل التربية بمختلف الأطوار الدراسية والمراحل العمرية.

والأخلاق في الشريعة الإسلامية لها فلسفتها وخصوصياتها؛ حيث تتمازج مع القاعدة القانونية، فما من قيمة خلقية داعية إلى بناء الفرد وتبنيّه للسلوك الحسن وسط المنظومة الاجتماعية؛ إلا ونجدها في شريعتنا الغراء باعتبار الشريعة المورد العذب الذي لا ينضب له معين في تزويد الناس بالمعارف وأمّهات الفضائل.

وتبدو أهمية الأخلاق في الشريعة الإسلامية في أنظمتها القانونية من عدة أوجه:

أنّ مراعاة الأخلاق في الإسلام واجبة في الغاية والوسيلة... كما أنّ الأخلاق في الإسلام موصولة بتقوى الله ومراقبته، والشريعة التي أنزلها الله مطلوب من المسلمين تنفيذها، فالمسلم دائماً يطلب تنفيذ هذا القانون في جميع الأحوال، وهذا يجعل الالتزام بهذا القانون راسخاً، وحسبنا أن نعلم أن المسلم يعدّل حتى مع أعدائه؛ لأنّ الله أمرنا بذلك...

ومن هنا كان أثر امتزاج القانون بالأخلاق له الأثر البارز في بيان قوّة الشريعة وعظمتها.

ولتحقيق هذه الأهداف، تعمل التربية على توفير سبل التفاعل مع المعرفة المتطورة، بحيث يمكن هذا التفاعل الفرد من مواجهات المشكلات وتنمية الثقافات، فإنّها لا يمكن أن تؤدي وظيفتها في معزل عن الثقافة، وكذلك فإنّ الثقافة لا يمكنها أن تنتقل إلى حياة الناس من دون الاستعانة بالتربية، فالتربية هي الوسيلة التي تنقل ثقافة المجتمع إلى الإنسان من جيل إلى جيل، وهي التي تعرّف المتعلّم بثقافة مجتمعه وتدفع الثقافة إلى التقدم والازدهار، فالإنسان المتعلّم هو وحده القادر على إدراك ثقافته، وهو في الوقت نفسه القادر على تنميتها وتطويرها وتحديثها.³

« وطريقة الإسلام في التربية: هي معالجة الكائن

البشري كله، لا تترك منه شيئاً ولا يغفل عن شيء؛ جسمه وعقله وروحه، حياته المادية والمعنوية ونشاطه على الأرض كله.

والقرآن كلام الله، ليس لجبريل ولا لنبي فيه إلاّ البلاغ من غير تزويد ولا نقصان، ولا تغيير ولا تبديل، وقد حمّله عن النبي ﷺ الجُم الغفير من الصحابة رضي الله عنهم، وعن الصحابة حمّله أُلوف التابعين، وعن التابعين حمّله الألوف ممن بعدهم، وهكذا في كل طبقة حتى وصل إلينا كما أنزله الله تعالى على نبيه بالتواتر اللفظي المفيد للقطع واليقين.⁴

« لقد كان نزول القرآن أكبر حركة تصحيحية لمسيرة الفكر الإنساني؛ لأنّه حرّر العقل الإنساني من أسر المنهج الصوري في التفكير... لقد كانت أكبر خدمة أسداها القرآن الكريم إلى الفكر الإنساني أنّه نبّهه إلى قيمة هذا العالم، وإلى دلالته على بديع صنع الله في خلقه، ولم يكن الهدف من هذا التوجيه هو مجرد النظر إلى العالم، وإنّما كان الهدف الأساسي هو إحكام الصلّة

خلق تلاميذه وتهذيب نفوسهم وتعليمهم الشّعائر الإسلامية والأدب الإنسانية، وهذا كلّ مما يدخل في باب العمل بالعلم، لأنه لا معنى للعلم؛ بأنّ الصدق من شعب الإيمان الإسلامي، وأن الكاذبين ملعونون في القرآن، إذا لم يكن العمل بذلك مسائراً للعلم به في جميع خطوات الحياة.

تري كيف يتصرّف المدرسون في مدارسهم والأساتذة في معاهدهم وكتّياتهم لتحقيق الغاية من العلم وتعلمه وتعليمه كما يريد الإسلام من أبنائه المدرسون والطلبة؟⁷

إنّ تحقيق ثمرة العلوم الشرعية في المجال التربوي التعليمي رهينٌ باستحضار مجموعة من الضوابط الكفيلة بتحقيق ذلك وهي كالتالي:

« ينبغي أن تكون تلك المناهج شاملة متكاملة تلبي احتياجات الحياة ومتطلبات العصر، بما يتناسب مع تعاليم الشريعة الإسلامية، وأن تكون مناهج تأصيلية قادرة على تحديد الحياة العلمية وتغيير ما ران على المجتمعات من مفاهيم خاطئة.

ينبغي على المسؤولين في التربية والتعليم ... إعداد المعلمين الأكفاء، إعداداً تربوياً علمياً يؤهلهم لتأدية رسالتهم على أكمل وجه، وذلك من خلال الدورات العلمية والتربوية المكثفة.

ينبغي على المسؤولين في التربية والتعليم الاستفادة من المناسبات الدينية والتاريخية، في تنمية التربية الروحية

عند التلاميذ، من خلال دراسة هذه المناسبات وعرضها وتحليلها ومقارنتها بالواقع الذي يعايشه المسلمون اليوم.⁸

هذا الارتباط الشديد بين القانون والأخلاق في الشريعة الإسلامية أكسب الشريعة الإسلامية جلالاً تغبط عليه، وخلصها من كثير من قسوة القواعد القانونية المجردة التي تجعل حدوداً فاصلة واضحة بين قواعد الأخلاق وأحكام القانون، وهذا الارتباط نجّاهما أيضاً من صرامة الشكليات والمراسيم التي أرهقت كثيراً من الشرائع قديماً وحديثاً.⁶

المحور الثاني: ثمرة العلوم الشرعية في المجال التربوي التعليمي:

إنّ النموذج والقذوة المثلى في تربية الناس وتعليمهم نأخذها من الرّيعيل الأول، الذي تربّى على القيم الفاضلة وتشرف بالصّحبة الشريفة في ظلال النبوة الوارفة.

فما هو منهج المدرسة الإسلامية الأولى؟

« لقد وضع الإسلام قيادته في أيدي علمائه، واعتبرهم ورثة الأنبياء، وفرض عليهم العمل بما يعلمون من أخلاق الإسلام ومبادئه وقواعده وأحكامه.

وليس في علماء الشريعة الإسلامية ولا في تلاميذهم من لا يحفظ هذا

البيت:

وعالم بعلمه لم يعملن... معذب من قبل عابد الوثن

لأنّ العلم الذي لا يعمل به معتبر في الإسلام علماً لا ينفع، وكان رسول الله ﷺ يستعيز من مثل هذا العلم كما يستعيز من الشيطان، فيقول: (أعوذ بالله من علم لا ينفع).

لذلك يحتم الإسلام على المدرّس في فضله أن يكون أستاذ تربية كما هو أستاذ علم، وأن يقوم على تقويم

المحور الثالث: ثمرة العلوم الشرعية في بناء المنهج

« إنَّ طرائق التدريس وأساليبها عاملٌ من عوامل نجاح المدرس أوفشله؛ بل يتوقف عليهما تحقيق الأهداف التربوية أو عدم تحقيقها في تنفيذ المنهج، فإذا كان حُسن اختيار الطريقة أو الأسلوب المناسب مُهمّاً في المواد الدراسية على نحو عام، فإنه أكثر أهمية في مواد العلوم الشرعية؛ لأنّ الهدف الرئيس لم يكن الحصول على المادة فحسب؛ بل تكوين السلوك العام للطلبة بما يلائم حقائق هذه المادة، فلا تتصرف في أمر من الأمور إلّا على ضوئها، وعلى هُدى منها، ويتطلب هذا اختيار الأسلوب الذي يساعد على تحقيق هذه الغاية.

ولقد حققت طرائق تدريس العلوم الشرعية وأساليبها نتائج تربوية مهمّة انعكست آثارها في جيل المسلمين الأوائل، وبدت آثارها في تفوق المجتمع المسلم وتفوقه في عصور الحضارة الإسلامية الزاهرة، وكانت آثارها قوية في المجتمعات العالمية التي أخذت بها، ولقد سلك رسول الله ﷺ طرائق عدّة في تربية الإنسان المسلم، راعى فيها الفروق الفردية بين المتعلمين وقدر طاقاتهم ومواهبهم، وعمل على تنميتها ولكلّ طريقة من هذه الطرائق آثارها في تنمية جانب أو أكثر من جوانب الشخصية الإنسانية.

ومن أبرز الطرائق والأساليب التي اتّبعها الرسول مُحمّد ﷺ: "أسلوب القصة، والاستجواب، والتلقي، والمحاضرة، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب ضرب الأمثال وغيرها." ⁹

لقد جسّد رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، النموذج الأسمى للمربيّ الرؤوف بمرتبّه، والمعلّم البارِع المحقق لآمال معلّميه، تجلّى ذلك في مواقف عدّة

ومواطن كثيرة، نستلهم منها الدّرر في واقعنا ونقتبس من شعلتها قبساً في إنارة طريقنا نحو تربية صحيحة تنأسس على منهج مُنضبط وقواعد علمية سلسة تُراعي واقع الناس وتُخاطبهم على قدر عقولهم.

فاستحضارُ الهُدى النبوي في العملية التربوية التّعليمية والاستفادة قدر الإمكان من مناهج العلماء الرّبانيين المصلحين — كغُيْل يجعل منظومتنا التّربوية قادرة على مواكبة المتغيرات ومحقّقة لطموح الأجيال؛ ولن يتأتّى هذا الأمر إلّا بإصلاح المناهج التّعليمية والنّظر في طرائق التّدريس؛ وما يتطلّب ذلك من مراعاة منهج كلّ علم على حدة، يُراعى فيه خصوصيات كلّ فنّ، وما يقتضيه من وسائل بيداغوجية مناسبة في التدريس.

كما أنّ من الوسائل المُستهمّة في تحقيق التعلّم المثمر — الذي يسير على نهجها المعلّم — هو مراعاة بيئة المتعلّم وتنزيل التّعليمات وفق ما تقتضيه بيئته وواقعه؛ حيث يكسبُ ذلك المتعلّمين دُرّة ومعرفةً بقضاياهم، كما يساعدُ ذلك على الاستيعاب الجيّد، فالمتعلّم وهو يتلقّى قضايا معرفية مُنوّطة ببيئته يكون ذلك أقرب إلى فهمه عكس الافتراض والتّقدير لقضايا خارجة عن نطاق بيئته وواقعه.

« إنَّ التربية السّليمة تتحقّق عن طريق تهيئة الظروف المناسبة أمام التلاميذ لكسب خبرات مناسبة، كما أنّ الخبرة هي ثمرة التفاعل بين الفرد وبيئته، ومن ثمّ تكون مهمّة التربية العناية بطرفيّ هذا التفاعل، ولما كانت مقوّمات شخصية الفرد لا تُولد معه، وإنّما تتكوّن وتنمو تدريجياً في أثناء تفاعله مع البيئة التي تنشأ فيها... وتختلف البيئة من فرد إلى آخر، حتّى ولو كانا يعيشان تحت ظروف متشابهة، وذلك بحسب نظرة كلّ منهما إلى بيئته، ومدى تفاعله مع عناصرها المختلفة، والواقع

منهج النقد:

« قاعدة مهمة من قواعد هذا العلم باعتباره العلم الذي يسعى لبيان منهج الإسلام والدفاع عنه، ولا سيما في هذا العصر الذي تتنافس فيه المذاهب، وتتصارع الأفكار، فبواسطة النقد بحديثه الإيجابي والسلبي يمكن بيان الجوانب الجيدة والمتوافقة مع الإسلام في الفكر الإنساني، وكذلك بيان جوانب النقص والقصور والانحراف... »

منهج المقارنة:

وهي القاعدة المكملّة للقاعدة السابقة، فإذا كان النقد يُبين الجوانب الإيجابية والسلبية، فالمقارنة تكشف عن كمال الإسلام وفضله وضرورته لحياة البشر.

هذه القواعد ... تُمثل الأساسات المنهجية لعلم الثقافة الإسلامية، وفي ضوء هذه القواعد تتم الاستفادة من المناهج العلمية المشتركة، كالمناهج الاستنباطية والاستقرائية والتحليلية والتاريخية ونحوها.¹³

فالعلوم الشرعية لها أثر بارز في بناء المنهج لدى طلاب علوم الشريعة، فهي تُسهم بشكل ملموس في البناء المنهجي وتكوين دأري العلوم الشرعية تكويناً متيناً مؤسساً على تصوّر منهجيّ هادف.

وعلى سبيل المثال — لا الحصر — قد ارتأيت أن أتناول مدى إسهام أحد أهم علوم الشريعة في بناء المنهج؛ ألا وهو: علم مقاصد الشريعة؛ حيث يُعتبر هذا العلم ثمرة العلوم الشرعية؛ لكونه يهدف إلى إبراز أسرار الشريعة وتحليلاتها.

أن مكونات البيئة تختلف في مدى تأثيرها على الفرد تبعاً لعوامل متعدّدة، منها القرب المكاني، والقرب الزماني، ومنها خصائص هذه المكونات ذاتها، وصلتها بحياة الفرد، ومدى احتكاكها به... وعلى هذا الأساس فإنّ المناهج في المراحل الأولى من التعليم، ينبغي أن تتركز حول دراسة البيئة المحليّة، مع عدم إغفال عناصر البيئة الأخرى إذا كانت شديدة الصلة بحياة التلميذ، كما ينبغي أن تعمل التّربية على توسيع دائرة البيئة أمام التلاميذ كلّما تكشف استعدادهم، ونمت قدراتهم واتّسعت دائرة خبرتهم وتجاربهم على أن تتمّ هذه العملية بحكمة وتدريج، وعلى أساس علمي.¹⁰

ومّا يُلقَفُ إليه النّظر: « أنّ العلم التجريبي حين قام عند المسلمين على أساسٍ من الإيمان بالله وبأنّه خالق العالم والناس، وبأنّ أصل الناس واحد وربّهم واحد صدروا في علمهم عن خشية الله، واحترام لكرامة الإنسان فوضعوا ثمرات علومهم في إصلاح الدّنيا وخدمة الناس فنشروا العلم وجعلوه حقّاً مُشاعاً في الناس، ووقّروا العلاج لكل مريض، وعبّدوا الطّرق، وأمنوا السّبيل ولم يفرّقوا في الاستفادة من ثمرات ذلك بين مسلم وغير مسلم.»¹¹

« ولا شكّ أن لكلّ علم منهجه المميّز له عن غيره في تناول موضوعاته، بالإضافة إلى القدر المشترك بين العلوم من النّاحية المنهجية، وعلم الثقافة الإسلامية له ما يميّزه عن غيره من النّاحية المنهجية يتجلّى ذلك في مجموعة من القواعد.»¹²

سأذكر منها — بإيجاز — منهجين بارزين يستفيدا الدّارس للعلوم الشرعية، وهما:

ثمرة المقاصد في بناء المنهج:

« قضية (المنهج) اليوم عند الأمة من أهم القضايا التي تعزقل سيرها، وتضعف قوتها، وتجعل حركتها غير قاصدة ؛ مع أنّ سلف هذه الأمة كان سباقاً لتأسيس قواعد التفكير والاستنباط من خلال (أصول الفقه)، وقواعد ضبط الرواية ونقل الأخبار من خلال (علوم الحديث).

وهكذا تأسست حول نصوص الوحي: قرآنا وسنة، أهم المناهج العلمية المعروفة إلى الآن؛ (كالمنهج التحليلي) الذي اعتمده الفقهاء، (والمنهج المقارن) الذي اعتمده الفقهاء والمحدثون، و(المنهج التاريخي) الذي اعتمده أهل الحديث.

واشترك أهل الأصول والفقه، وأهل الحديث، وأهل اللغة في توظيف (المنهج الاستقرائي) المفضي إلى بناء القواعد، واستخلاص الكليات من الجزئيات، كما أنهم وظفوا (المنهج الاستنباطي) الذي ينطلق من الكل إلى الجزء خصوصاً عند مدرسة الأصوليين المتكلمين.

إذاً فما دور علم المقاصد في بناء المنهج عند الأمة؟

يقوم علم المقاصد على المستوى المنهجي على المسائل التالية:

الانطلاق من الجزئيات لبناء الكليات عن طريق الاستقراء.¹⁴

لقد أولى الإمام الشاطبي - رحمه الله - مسألة ربط الكليات بالجزئيات أهمية خاصة؛ فهي من صميم عمل المجتهد، فلا يُعني ذلك عن اجتهاده بحال من الأحوال.

قوله: « فَمِنْ الْوَاجِبِ اعْتِبَارُ تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ بِهَذِهِ الْكُلِّيَّاتِ عِنْدَ إِجْرَاءِ الْأَدِلَّةِ الْخَاصَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ... فَمَنْ أَخَذَ بِنَصِّ مَثَلًا فِي جُزْئِيٍّ مُعْرِضًا عَنْ كُلِّيٍّ؛ فَقَدْ أَخْطَأَ... كَذَلِكَ مَنْ أَخَذَ بِالْكُلِّيِّ مُعْرِضًا عَنْ جُزْئِيٍّ. »¹⁵

وقوله أيضاً في مسألة ربط الكليات بالجزئيات عن طريق مسلك الاستقراء: « أَنْ تَلْقِيَ الْعِلْمَ بِالْكُلِّيِّ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عَرْضِ الْجُزْئِيَّاتِ وَاسْتِقْرَائِهَا؛ وَإِلَّا فَالْكُلِّيُّ مِنْ حَيْثُ هُوَ كُلِّيٌّ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَنَا قَبْلَ الْعِلْمِ بِالْجُزْئِيَّاتِ ؛ وَلِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ فِي الْخَارِجِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُضْمَنٌ فِي الْجُزْئِيَّاتِ حَسَبَمَا تَقَرَّرَ فِي الْمَعْقُولَاتِ. »¹⁶

ترتيب الأولويات :

ما أحوَج الأمة إلى هذا المنهج في ترتيب شؤونها وأولوياتها؛ لكي تنطلق نحو البناء الصحيح في شتى الميادين والمجالات؛ حيث يشكل منهج ترتيب الأولويات أحد أهم الدعامات الأساسية في تحقيق الهدف المنشود وبلوغ المراد المتوخى.

إنّ نكوص الأمة وتقهقرها في بعض شؤونها عائد أساساً إلى تخلفها عن هذا المنهج الذي لم تضعه أحياناً في صدارة أعمالها؛ حيث وقع الاهتمام على ما هو تبغي وتمّ إغفال ما هو أصلي.

فالاشتغال بالضروري أكّد على الحاجي، والانكباب على توفير الحاجيات أولى من الاهتمام بجانب التحسينيات، وهكذا دواليك.

فعلماؤنا الأفاضل؛ قد وضعوا لنا المنهج الذي نسير على ضوئه ونتغيّا ثمراته؛ فكم كان انشغالنا فيما هو

وذلك أنّ أجلّ فائدة للعلم هو أن تتجلى أثره على صاحبه ويترجم إلى واقع عملي ليسهم بدوره في تحقيق الثمرة المنشودة.

« فغاية العلم العمل، وثمره الإيمان الاستقامة، هذا هو المنهج الواضح في القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة غابَ عن الأمة منذ أن تدرجت من درجة الشّاهدية والخيرية إلى درك المشهودية.

فصار العلم بلا عمل، وصارت مناهجنا التعليمية تركز أساساً على المعرفة والحفظ والجمع، وغاب العمل، وضُمرت الأخلاق في الأمة، وفي مقابل ذلك كثر الكلام، وعمّ الاختلاف، والتفقر في جزئيات الدين في غياب المقاصد».¹⁸

إنّ العمل بجانب العلم، كالشجرة المثمرة؛ إذا لم تثمر لنا التعلّيمات بناءً القيم الفاضلة والأخلاق الحسنة وتُبنى لنا أجيالاً صالحة تُسهم في نهضة الأمة وبناء حضارتها، فما الجدوى إذاً؟

هذا تساؤل ينبغي أن يُستحضر في العملية التعليمية وفي مختلف أطوار التدريس منذ البواكر الأولى في تنشئة الأطفال إلى المستوى الجامعي الأكاديمي، والجواب عن ذلك يكون بالعمل على غرس القيم في الناشئة والتشبع بها، وأن يُرى ذلك في سلوكهم الاجتماعي المدني؛ وهذه هي الثمرة المتوخاة في إعداد الأجيال وبنائها بناءً سوياً متوازناً تحقّق الخير والمنفعة للناس والأمة.

خاتمة البحث:

من خلال ما تمّ في هذا البحث يمكن استخلاص المضامين والنتائج التالية:

كمالي أنّ أدّى بنا إلى إغفال ما هو ضروري عليه تقوم الأمة ويبنى صرحها ومجدها.!

فالعودة إلى ترتيب الأولويات وبناء الضروريات أهمّ لبنة في تحقيق النهضة الحضارية للأمة الإسلامية في كافّة المجالات.

التمييز بين الثوابت والمتغيرات:

إنّ مسألة التمييز بين الثابت والمتغير، منهج من مناهج علم مقاصد الشريعة؛ فالثابت قطعي ضروري يهدف إلى إرساء الكليات فهو لا يتزعزع باعتباره اللبنة الكبرى في إرساء وحدة الأمة وتماسكها.

أمّا المتغير فهو من قبيل الظّنّيات، وإنّ شئنا القول، هو ممّا يدخله الاجتهاد والنظر، فهو يتغير بتغير العوائد والأزمنة والأمكنة؛ وذلك سرّ خلود الشريعة ومواكبتها لكلّ الأعراف والأفطار وصلاحياتها لكل زمان ومكان.

فالأمة عموماً، ودارسوا العلوم الشرعية خصوصاً بحاجة ماسة إلى التمييز بين النوعين؛ والاستفادة من هذا المنهج؛ حتّى يكون الناس على دراية تامة بما هو قابل للتغير وإخضاعه للاجتهاد البشري، وما هو ثابت كلّياً لا يتبدّل بأيّ حال من الأحوال.

ربط العلم بالعمل:

قال الشاطبي: «كُلُّ مَسْأَلَةٍ لَا يَنْبَغِي عَلَيْهَا عَمَلٌ؛ فَالْحَوْضُ فِيهَا حَوْضٌ فِيمَا لَمْ يَدُلَّ عَلَى اسْتِحْسَانِهِ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ، وَأَعْنِي بِالْعَمَلِ: عَمَلُ الْقَلْبِ وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ، مِنْ حَيْثُ هُوَ مَطْلُوبٌ شَرْعاً».¹⁷

لقد أسّس الشاطبي — رحمه الله — لقاعدة ربط العلم بالعمل بنوعيه الظاهر والباطن المثمر لصالح الإنسان؛

الانكباب على صياغة المناهج التعليمية المناسبة لمواد العلوم الشرعية؛ مع مراعاة كل فنّ على حدة ؛ حتّى تُؤتي هذه الفنون ثمرتها وتكون الاستفادة من مضامينها بشكل يلبي حاجيات الأمة من أجيال قادرة على مواكبة الركب الحضاري.

مصادر البحث ومراجعته:

(1) الشاطبي، "الموافقات"، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار بن عفان، الطبعة: 1، 1997م

(2) د: حسام عبدالمملك العبدلي، "مباحث في طرائق تدريس العلوم الشرعية"، دار النهضة، ط: 1، 2008/1429م

(3) د: عمر سليمان الأشقر، "خصائص الشريعة الإسلامية"، مكتبة الفلاح، الكويت، ط: 1، ص: 1982م

(4) الخطيب، محب الدين، "منهج الثقافة الإسلامية"، دار أم القرى - القاهرة، تاريخ الطبع: بدون.

(5) شعت، رائد طلال، "الثقافة الإسلامية في مواجهة الغزو الثقافي"، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-3/4/2007م.

(6) الطريقي، عبدالله بن ابراهيم، وآخرون، "الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسماً علمياً"، دراسة نظيرية وتعريفية "ط: 1، 1411، الرياض، تاريخ النشر: بدون.

إنّ منطلق العلوم الشرعية بالدرجة الأولى، هو بناء الإنسان المؤمن بربه المتشبّث بعقيدته؛ كلّ ذلك مبناه على القاعدة الأخلاقية التي هي جوهر التّعليم وحقيقتها.

ممتّ اختصّت به دراسة العلوم الشرعية على غيرها من العلوم، كونها جامعة بين التّربية والتعليم؛ فهي تصوّب إلى تزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتنمّي في الإنسان مشاعر الإحساس بالجمال؛ لذا فمدرّس علوم الشريعة، قائمٌ على تقويم خلق تلاميذه وتهذيب نفوسهم وتعليمهم الشّعائر الإسلامية والأدب الإنسانية، وهذا كلّ مما يدخل في باب العمل بالعلم.

كما أن العلوم الشرّعية لها أثر بارزٌ في بناء المنهج لدى طّلاب علوم الشريعة، فهي تُسهم بشكل ملموس في البناء المنهجي وتكوين دأري العلم الشرعي تكويناً متيناً مؤسساً على تصوّر منهج واضح؛ حيث يستفيد طّلابه خلال دراستهم وتكوينهم من مناهج عدّة؛ كالمنهج المقارن، والمنهج التّقدي، والاستنباطي، والتحليلي... كلّ ذلك ناتج عمّا تُزوّد به فنون الشريعة المتعدّدة والغزيرة بموادّها العلمية لطّالبيها؛ كالفقه وأصوله والحديث وعلومه، وغيرها من الفنون المتداخلة فيما بينها.

توصيات:

مما يجدر التنبيه إليه — ونحن بصدد الحديث عن موضوع تدريس العلوم الشرعية — الإشارة إلى ما يلي:

العمل على جعل دراسة علوم الشريعة بمختلف فروعها مرتبطة بمحورية القيم وصلتها بالسُّنن الكونية والمشارك الإنساني؛ حتى تواكب بذلك مستجدّات العصر وتبني أجيالاً قادرة على النهوض برسالتها على أحسن وجه.

- منهج الثقافة الإسلامية، دار أم القرى - القاهرة، تاريخ الطبع: بدون
- ⁷ الخطيب، محب الدين، (ج: 1 ص: 5-6)
- ⁸ شعت، رائد طلال، الثقافة الإسلامية في مواجهة الغزو الثقافي، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-3/4/2007م (ج: 1 ص: 54)
- د: حسام عبد الملك العبدلي، مباحث في طرائق تدريس العلوم الشرعية، دار النهضة، ط: 1، 1429/2008م، (ص: 7)
- د: محمد صابر سليم، وآخرون، "بناء المناهج وتخطيطها" دار الفكر، ط: 1، 1426هـ، 2006م. (ص: 77)
- ¹¹ د: محمد رشاد خليل، "المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره"، دار المنار القاهرة، ط: 1، 1404 هـ، 1984م. (ص: 38-39)
- ¹² الطريقي، عبدالله بن إبراهيم، وآخرون، الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسماً علمياً، "دراسة نظرية وتعريفية" ط: 1، 1411هـ، الرياض، تاريخ النشر: بدون. (ص: 21)
- ¹³ المصدر نفسه، ص: 22
- ¹⁴ د: حليم، سعيد "المقاصد العليا للشرعية الإسلامية من مقاصد الوجود إلى مقاصد الشهود"، ط: 1، مطبعة أميمة زنقة 809، سيدي إبراهيم فاس. 1431-2010م، (286)
- الشاطبي، "الموافقات" تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن (ج: 3 ص: 174)
- ¹⁵ حسن آل سلمان، دار بن عفان، الطبعة: 1، 1997م
- ¹⁶ المصدر نفسه، ج: 3 ص: 174-175
- ¹⁷ الشاطبي، "الموافقات" (ج: 1 ص: 43)
- ¹⁸ د: حليم، سعيد "المقاصد العليا للشرعية الإسلامية من مقاصد الوجود إلى مقاصد الشهود" (258)

(7) د: حليم، سعيد، "المقاصد العليا للشرعية الإسلامية من مقاصد الوجود إلى مقاصد الشهود"، ط: 1، مطبعة أميمة زنقة 809، سيدي إبراهيم فاس. 1431-2010م.

(8) د: محمد صابر سليم، وآخرون، "بناء المناهج وتخطيطها" دار الفكر، ط: 1، 1426هـ، 2006م.

(9) د: محمد رشاد خليل، "المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره"، دار المنار القاهرة، ط: 1، 1404 هـ، 1984م.

(10) د: محمد عمارة، "مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية"، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط: 1، 1423هـ-2003م.

(11) د: مانع بن محمد بن علي المانع، "القيم الإسلامية بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة" دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ط: 1، 1426هـ/2005م.

الهوامش:

- ¹ د: مانع بن محمد بن علي المانع، "القيم الإسلامية بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة" دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ط: 1، 1426هـ/2005م. (ص: 74)
- ² د: محمد عمارة، "مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية"، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط: 1، 1423هـ-2003م. (ص: 14)
- د: حسام عبد الملك العبدلي، مباحث في طرائق تدريس العلوم الشرعية، دار النهضة، ط: 1، 1429/2008م (ص: 13-14)
- ⁴ المصدر نفسه، ص: 15
- ⁵ د: محمد رشاد خليل، "المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره"، دار المنار القاهرة، ط: 1، 1404 هـ، 1984م. (ص: 43-44)
- د: عمر سليمان الأشقر، خصائص الشريعة الإسلامية، مكتبة الفلاح، الكويت، ط: 1 ص: 192-94 (ص: 92-94)

